المجلس (١١)

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمِينَ، وَالصَّلاةُ وَالسَّلامُ الأَتَمَّانِ الأَكْمَلَانِ عَلَىٰ المَبْعُوثِ رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ، وعَلَىٰ آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِيْنَ.

أَمَّا بَعْدُ؛

فيا معاشر الفضلاء؛ يا أتباع خير رُسل الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ! إنَّ الله عَزَّوَجَلَّ فضَّل يومًا من أيام الأسبوع عَلَىٰ سائر الأيام، فعلمت اليهود ذلك، فطلبت فضله، رجاء أن تكون من أهل ذلك الفضل؛ فأضلها الله عن ذلك اليوم، فكان يومها يوم السبت، وطلبت النصارى فضله، رجاء أن يكونوا أهل ذلك الفضل؛ فأضلهم الله عَزَّوَجَلَّ عنه، فكان يومهم يوم الأحد، وهدى الله عَزَّوَجَلَّ النَّبِيّ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ وأمته إِلَىٰ ذلك اليوم، فكان يومنا يوم الجمعة، وهو اليوم الَّذِي فضَّله الله عَزَّوَجَلَّ عَلَىٰ سائر أيام الأسبوع.

ثُمَّ إنَّ ربنا سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ مع هٰذَا الإكرام لأمة مُحَمَّدٍ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، أكرمها بفضائل في ذلك اليوم، ومن تلك الفضائل العظيمة: أنَّ ربنا سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ جعل في يوم الجمعة ساعةً لا يوافقها عبدٌ مسلمٌ قائمٌ يصلي، يسأل الله شيئًا إِلَّا أعطاه إياه، ويوم الجمعة هنا يبدأ من الفجر عَلَىٰ الراجح إِلَىٰ غروب الشَّمْس، فساعة الإجابة هي في هٰذَا الوقت، وأصح ما قيل فيها: ما ذهب إليه السَّلَف، وهو عَلَىٰ قولين:

➢ **القول اَلْأَوَّل**: إنَّها في وقت صلاة الجمعة، منذ أن يصعد الخطيب عَلَىٰ المنبر إِلَىٰ أن يفرغ من صلاة الجمعة.

➢ **والقول الثَّانِي** -والقائلون به أكثر، وهو أقوى من اَلْأَوَّل-: أنَّ وقت ساعة الإجابة في يوم الجمعة هو بعد العصر من يوم الجمعة، أي: في وقتنا هٰذَا، وقد أخبر النَّبِيّ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ أنه «**لَا يُوَافِقُهَا عَبْدٌ مُسْلِمٌ قَائِمٌ يُصَلِّي، يَسْأَلُ اللهَ شَيْئًا، إِلَّا أَعْطَاهُ إِيَّاهُ**»، وهل قول النَّبِيّ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «**قَائِمٌ يُصَلِّي**» شرطٌ لحصول هٰذِه الفضيلة أم لا؟

✍ **الأقرب** -واللهُ أَعْلَمُ-: أنه شرط؛ لتحصيل هٰذِه الفضيلة، والمسلم إذا صلَّى العصر، وبقي في المسجد بعد الصَّلَاة؛ فإنه في صلاة، وإنه كالقائم الَّذِي يصلي، فيتحقَّق فيه هٰذَا الوصف، ثُمَّ يظهر لي -واللهُ أَعْلَمُ- أنَّ من كان معذورًا في حضور الجماعة، كالمريض أو من لم تُطلب منه الجماعة، كالمرأة أنه إن صلَّى في بيته، وقعد في مصلاه؛ ينطبق عليه هٰذَا الحال، ويُرجى له الفضل؛ لأنه معذورٌ أو لم يُطلب منه أن يكون في المسجد.

⮌ وهل يعني هٰذَا: أنَّ المسلم إذا خرج بعد صلاة العصر من المسجد لا يدعو الله يوم الجمعة؟

✍ **نقول**: لا، بل يدعو الله، ويرجو أن يستجيب الله عَزَّوَجَلَّ له، لكنَّ الخبر الوارد عن النَّبِيّ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ إِنَّمَا هو فيمن صلَّى العصر وبقي في المسجد، وأخذ يدعو الله عَزَّوَجَلَّ، **فأوصي نفسي وإخواني** بكثرة الْدُّعَاء في هٰذَا الوقت ما بين العصر والمغرب من يوم الجمعة، ادعوا لأنفسكم، وادعوا لأهليكم، وادعوا لأقاربكم، وادعوا لجيرانكم، وادعوا لأحبابكم، وادعوا لولاة أمركم، فإنَّ من علامات أهل السُّنَّة وَالْجَمَاعَة: أنهم يدعون لولي الأمر؛ لأنهم يحبون صلاحه، ويحبون أن يكون عَلَىٰ خير، وادعوا لعلمائكم أن يعينهم الله، وأن يسددهم ويوفقهم، ويحفظهم، وادعوا لإخوانكم في سائر البلاد عمومًا، وفي البلدان الَّتِي تعظم حاجة إخوانكم إِلَىٰ الْدُّعَاء لهم، كإخواننا في السودان، أطفأ الله عنهم الحرب، ودفع عنهم الفتن، ونصر أهل الحقِّ بالحقِّ، وإخواننا في فلسطين، أعزَّهم الله، ونصرهم وحفظهم، ودفع عنهم شرور المعتدين من أي جهةٍ كانت، وادعوا لإخوانكم في ليبيا، وحَّد الله صفَّ أهلها عَلَىٰ الحق، ودفع عنهم الشرور، وهكذا في سائر بلدان المسلمين.

واجعلوا في دعائكم كثرة الصَّلَاة عَلَىٰ نبيكم صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، لتفوزوا مع ما في الصَّلَاة عَلَىٰ النَّبِيّ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ من فضل، تفوزوا بأمرين عظيمين:

⮜ **الأمر الْأَوَّل**: عملكم بوصية رسولكم صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، حيث أوصاكم بأن تكثروا من الصَّلَاة عليه في يوم الجمعة، وأخبركم أنَّ صلاتكم معروضة عَلَىٰ نبيكم صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، فإذا صلى العبد عَلَىٰ النَّبِيّ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ في يوم الجمعة؛ فإنَّ صلاته تُعرض عَلَىٰ النَّبِيّ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ عرضًا، وَهٰذَا أبلغ وأشرف من الإبلاغ، فتُعرض عرضًا، ما أكرمه من مقام أن يُقال لنبيك صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: هٰذِه صلاة فلانٍ

عليك، تُعرض عليه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، والله لو أدركنا هٰذَا الفضل حقًّا؛ لأكثرنا من الصَّلَاة عَلَىٰ نَبِيِّنَا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في يوم الجمعة إكثارًا عظيمًا.

والأمر الثَّانِي: أن يكون ذلك من أسباب إجابة الْدُّعَاء، فإنَّ من أسباب إجابة الْدُّعَاء: أن يصلي الداعي عَلَىٰ النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في دعائه.

فأوصي نفسي وإخواني بهذا الأمر العظيم، وأن لا نغفل عنه، فإنَّا والله لا ندري كم بقي لنا من الجمع في هٰذِه الدنيا، فعلينا أن نغتنم حياتنا، والله إنها ستمرُّ مرَّ الصَّوْت، ومرَّ البصر، كما مرَّ ما مضى، إني والله لأنظر إِلَىٰ ما يقرب من ستين عامًا قد خلفتها وراء ظهري، والله كأنها لحظة! وإنَّ القادم سيمر، وسينادى علينا بالموت، وسيُصلى علينا، وسنُقبر في قبورنا.

✔ **فالموفَّق منَّا وَالنَّاصِح لنفسه** مَنْ مهَّد لذلك اليوم، من عمل في أيامه هٰذِه ليُقال له إذا حضرته الملائكة: «**أَيَّتُهَا النَّفْسُ الطَّيِّبَةُ، كَانَتْ فِي الْجَسَدِ الطَّيِّبِ، اخْرُجِي حَمِيدَةً، وَأَبْشِرِي بِرَوْحٍ وَرَيْحَانٍ، وَرَبٍّ غَيْرِ غَضْبَانَ**».

✔ **والموفَّق منَّا** مَنْ مهَّد ليومٍ يُحمل فيه عَلَىٰ الأعناق، فيقول: «**قَدِّمُونِي، قَدِّمُونِي**» يسمع صوته كل شيءٍ إِلَّا الإنسان.

✔ **الموفَّق منَّا** مَنْ جعل بقيَّة أيامه تمهيدًا لكي ينجو عند الفتنة في القبر، ولكي يكون من المُنعَّمين الَّذِينَ يُنادى: «**أَنْ صَدَقَ عَبْدِي، فَأَفْرِشُوهُ مِنَ الْجَنَّةِ، وَأَلْبِسُوهُ مِنَ الْجَنَّةِ، وَافْتَحُوا لَهُ بَابًا إِلَىٰ الْجَنَّةِ**» لكي ينام في قبره نومة العروس، منعَّمًا من ربه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

✔ **الموفَّق منَّا** مَنْ اغتنم بقيَّة أيامه لكي يكون عند لقاء الله مسرورًا، لكي يكون عند إيتائه كتابه بيمينه مسرورًا، لكي يتَّبع رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَىٰ الجَنَّة، ويدخل الجَنَّة.

أَيُّهَا الفضلاء؛ إنَّ أعمارنا قسمان:

⇦ **قسمٌ مضىٰ**: فَأَمَّا ما فيه من خيرٍ؛ فهو محفوظٌ عند ربنا، يُنمَّى لنا، لن نفقد منه شيئًا، وَأَمَّا ما فيه من شرٍّ؛ فإنَّا نستطيع هدمه في لحظة، ما هي إِلَّا لحظة صدقٍ يصدق فيها الإنسان، فيقدِّم توبةً صادقة من ذنوبه الماضية، مهما كانت كبيرة، ومهما كانت كثيرة، إن صدق في توبته؛ تُهدم هدمًا، ولا يبقى منها شيء.

⇦ **وَأَمَّا القسم الثَّانِي من أعمارنا**: فهو أيام قادمةً نرجوها، هي في علم الغيب لا ندري عن عددها، ولا ندري مَتَىٰ تنتهي، فعلينا معاشر الفضلاء أن نغتنم هٰذَا الباقي، بأن نكون فيه من المحسنين، وأن نجاهد أنفسنا عَلَىٰ الثبات عَلَىٰ طاعة الله، وعَلَىٰ الإكثار من طاعة الله، وعَلَىٰ البُعد عن معاصي الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، لعلنا أن نكون في الآخرة من الفائزين.

وفَّق الله الجميع إِلَىٰ ما يحبُّ ويرضى، وجعلنا جميعًا من عباده الصَّالِحِيْنَ.

ꕥ معاشر الفضلاء؛ إنَّ درسنا في مسجد نَبِيِّنَا صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ درسٌ يتعلَّق بحماية التَّوحِيْد، بحماية جناب التَّوحِيْد، الَّذِي بُعث به مُحَمَّد صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ودعا إليه مُحَمَّدٌ صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وما زال يدعو إليه من أول يومٍ بُعث فيه إِلَىٰ آخر يومٍ كان له في الدنيا صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، دعا المشركين إِلَىٰ التَّوحِيْد، وكان يدعو أصحابه إِلَىٰ التَّوحِيْد، وكان يأمرهم بِالتَّوحِيْدِ، ويحذرهم من الشِّرْك، إنَّ نَبِيَّنَا صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خاف علينا من الشِّرْك، وحذَّرنا من الشِّرْك، ونهانا عن الشِّرْك.

وَهٰذَا الدرس الَّذِي نقيمه في مسجد نَبِيِّنَا صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يحقِّق مقصود الشارع من حماية التَّوحِيْد، والحذر من الشِّرْك، والبعد عنه، حيث نشرح كتاب "**شف الشبهات**" لشيخ الإسلام الإمام المُجدِّد مُحَمَّد بن عبد الوهَّاب رَحِمَهُ اللَّهُ عَزَّوَجَلَّ، وقد شرعنا في قراءة الكلام عن الجواب المُفَصَّل عن الشبه الَّتِي يوردها المنحرفون في باب التَّوحِيْد، الَّذِينَ يدعون الأموات من دون الله عَزَّوَجَلَّ، ويستغيثون بالأموات من دون الله عَزَّوَجَلَّ، وألقى عليهم الشيطان شبهاتٍ حَتَّىٰ لا يعودوا إِلَىٰ التَّوحِيْد، وصاروا هم يلقونها عَلَىٰ النَّاس، ويرددونها عَلَىٰ مسامعهم.

وقد وقفنا مع شبهتين، عرفنا حقيقتهما، وعرفنا الجواب المُفَصَّل عنهما، ونواصل قراءة ما سطره الشيخ، ونعلِّق عليه، فيتفضل الابن نور الدين -وَفَّقَهُ اللهُ والسامعين- يقرأ لنا من حيث وقفنا.

(المتن)

الحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمِينَ، وَالصَّلاةُ وَالسَّلامُ عَلَىٰ أَشْرَفِ الأَنْبِيَاءِ وَالمُرْسَلِينَ نَبِيِّنَا مُحَمَّد، وعَلَىٰ آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِيْنَ. أَمَّا بَعْدُ؛ فاللهم اغفر لنا ولشيخنا والسامعين.

قَالَ الإمام المُجدِّد شيخ الإسلام مُحَمَّد بن عبد الوهَّاب رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى في رسالته "كشف الشبهات":

فَإِنْ قَالَ: الْكُفَّارُ يُرِيدُونَ مِنْهُم، وَأَنَا أَشْهَدُ أَنَّ اللهَ هُوَ النَّافِعُ الضَّارُ الْمُدَبِّرُ، لا أُرِيدُ إِلاَّ مِنْهُ، وَالصَّالِحُونَ لَيْسَ لَهُمْ مِن الأَمْرِ شَيءٌ، وَلكِنْ أَقْصُدُهُمْ أَرْجُو مِنَ اللهِ شَفَاعَتَهُمْ.

(الشَّرْحُ)

هٰذِه الشبهة الثالثة من شبه الَّذِينَ يستغيثون بالأموات، ويسألون الأموات، ويتقربون لهم بِالنَّذْر والذبح وغير ذلك، وقد يوردها المورد منهم مستقلةً، فيقل: فعلنا هٰذَا مع الأنبياء عَلَيْهِمُ السَّلَامُ والأولياء الصَّالِحِيْنَ ليس شركًا بالله، وليس من جنس فعل المشركين؛ لأنَّا لا نعتقد أنَّ لهم تأثيرًا وتدبيرًا، ولا نريد منهم، وَإِنَّمَا نريد من الله بواسطتهم؛ لِمَا لهم من الجاه والمنزلة العظمى عند الله، بخلاف حال الكفَّار، فإنَّهم يريدون منهم، ويعتقدون أنَّ لهم تأثيرًا وتدبيرًا.

وهكذا يورِد الموردون هٰذِه الشبهة، وقد يوردها المورد منهم ليتخلَّص مِمَّا ذكرته وبيَّنته له بالأَدِلَّةِ، بأنَّ حال أولئك العُبَّاد للصَّالِحِيْنَ والأولياء يطابق حال أولئك المشركين الَّذِينَ نزل فيهم القرآن، وقاتلهم النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وسمَّاهم: "**مشركين**"، فيورد عليك ليتخلَّص من هٰذَا: أنَّ هناك فرقًا بين الحالين من جهة الإرادة والقصد، يعني: من جهة المقصود.

- تذكروا يا إخوة: أنه في الشبهة الثانية قد أورد أنَّ هناك فرقًا بين الحالين من جهة المعبود، ورددنا كلامه.

- هنا في هٰذِه الشبهة يورد فرقًا من جهة المقصود، فيقول: إنَّ أولئك الكفار يريدون من معبوداتهم؛ لأنهم يعتقدون أنَّ لها تأثيرًا وتدبيرًا، أما نحن فنريد من الله، ولا نريد من الأولياء والأنبياء، وَإِنَّمَا نسألهم ونستغيث بهم لأنَّ لهم جاهًا ومنزلةً عند الله، ليقربونا إِلَى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وليعطينا بواسطتهم.

إذا أورد المورد هٰذِه الشبهة، وظنَّ أنه أقام حجة؛ فاعلم أنها أوهى من بيت العنكبوت، وقد عرفت -وفَّقك الله- كيف تجيب الجواب المُجْمَل عنها فيما تقدَّم بيانه، وَأَمَّا الجواب المُفَصَّل؛ فيُجاب

عن هٰذِه الشبهة بأن يُقال: إنَّ هٰذَا لا ينفعك شيئًا، بل الحال هو الحال، ولا فرق بين الحالين، ويظهر هٰذَا من وجوه:

⬅ **الوجه الْأَوَّل**: أنَّكم يا من تزعمون هٰذَا الزعم تشتركون مع الكفَّار الَّذِينَ نزل فيهم القرآن في اعتقاد جنس عدم التَّدْبِير وَالتَّأْثِير، وقد ذكرنا لكم بعض الأَدِلَّة الَّتِي تدلُّ عَلَىٰ ذلك عند مشركي قريشٍ فيما تقدَّم، وأنتم تخبرونا عن أنفسكم بهذا.

أما وجود نوع من التَّدْبِير وَالتَّأْثِير؛ فأنتم تتفقون عليه، وتشتركون فيه، وَإِلَّا لما تقرَّبتم إليهم، كل عاقلٍ يُدرك أنَّ المشركين كانوا يتقرَّبون إِلَىٰ أوليائهم، وَإِلَىٰ الملائكة؛ لأنهم يعتقدون أنَّ لهم نوعًا من التَّدْبِير وَالتَّصَرُّف، وإن كانوا يقرّون بأنَّ الخالق هو الله، والرزَّاق هو الله، والمدبِّر هو الله، وأنتم تقولون وتخبرون عن أنفسكم: أنكم تؤمنون أنَّ الخالق هو الله، وأنَّ الرزَّاق هو الله، وأنَّ المدبِّر هو الله، وأنَّه لا ينفع ولا يضر أحدٌ من دون الله، ولكنكم تعتقدون أنَّ لمن تتقرَّبون إليه نوعًا من التَّدْبِير وَالتَّصَرُّف، وَإِلَّا لما تقربتم إليه، ولما كان لفعلكم فائدة، ولكان عبثًا، بل إنَّ هٰذَا في حالكم أظهر من الكفَّار الَّذِينَ نزل فيهم القرآن، وقاتلهم النَّبِيّ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ.

فقصصكم الَّتِي تذكرونها وتكبرون عند ذِكرها، وتطربون لذكرها، وتتمايلون عند ذكرها؛ كلها فيها التَّصَرُّف والفعلُ من أولئك الأموات، فتزعمون أنَّ الولي جاء ففعل، ألا تذكرون أنَّ امرأةً أتت إِلَىٰ وليٍّ وقالت: "**إنَّ ملك الموت قد قبض روح ابني، فصعد الوليُّ وطار في السماء، وأدرك ملك الموت في طريقه وهو يحمل الأرواح في زنبيل، ثُمَّ إنه لم يعرف روح ذلك الولد، فأخذ الزنبيل ونثره، فعادت الأرواح لكلِّ الأموات في تلك الليلة!**" تقرؤون هٰذَا وتكبرون وتطربون وتتمايلون، أليس في هٰذَا التَّصَرُّف من الولي؟!

بل إنكم تسيئون الظَّنّ بالله، وتحسنون الظَّنّ فيما معبوداتكم الَّتِي تتقربون إليها، فإنَّكم تعلّمون أتباعكم تلقينًا أو بالقصص أنَّ الواحد منهم إذا دعا الله؛ فإنَّ الله يتأخر في إجابته، أما إذا دعا الوليّ فإنه يبادر ولا يتأخر عن إجابته! بل تعلِّمونهم أنَّ دعاء الولي هو الَّذِي يُجاب، وأَنْ لَا يدعو الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ! أليس من قصصكم الَّتِي تسردونها وكتبتموها أنَّ وليًّا في مصر كان يجعل تلاميذه يقطعون النيل سيرًا عليه؟! ما يحتاجون إِلَىٰ مركبة، يسيرون، وكان أحدهم يقول عند سيره كلما وضع

رجلًا أو رفع: يا حنفي! يا حنفي! هٰذَا الولي، يا حنفي! يا حنفي! فيسيرون، فأخطأ أحدهم يومًا فَقَالَ: يا الله! فغرق؟! فجاء الشيخ مسرعًا فأنقذه، ووبخه، وبخه عَلَىٰ ماذا؟! عَلَىٰ أنه قَالَ: يا الله!

هٰذِه القصص الَّتِي يديرونها يعلّمون بها الأتباع العامة أنَّ الْدُّعَاء النَّافِع هو دعاء الأولياء، أما دعاء الله -نعوذ بالله من هٰذِه المقولة!- يضر ولا ينفع! هٰذِه حالكم الَّتِي لا تستطيعون لها دفعًا.

- **والوجه الثَّانِي في الجواب عن هٰذِه الشبهة**: أنَّ ظاهر حالكم يكذِّب مقالكم، فإنَّكم تتقرّبون إِلَىٰ من لا يدلُّ الواقع ولا الشرع عَلَىٰ أنَّه سببٌ للنفع، أو دفع الضُّرِّ، بل يدل عَلَىٰ عكسه، أما الواقع؛ فإنَّ الأموات مقبورون في قبورهم، غافلون عنكم، قد انقطعت أعمالهم وتصرفاتهم، إِلَّا ما تركوه من خير، وهم في دارٍ وأنتم في دار.

وَأَمَّا الشرع؛ فإنه قد دلَّ عَلَىٰ ذلك، فأشرف الأموات عَلَىٰ الإطلاق نَبِيُّنَا مُحَمَّد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يُقال له يوم القيامة: «**إِنَّكَ لاَ تَدْرِي مَا أَحْدَثُوا بَعْدَكَ**»، كما في "**الصحيحين**" وهو أشرف من قُبر صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وربنا يقول لنبيه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ﴿إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ الْمَوْتَىٰ﴾ [النمل: ٨٠]، ويقول له صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ﴿وَمَا أَنْتَ بِمُسْمِعٍ مَنْ فِي الْقُبُورِ ﴿٢٢﴾﴾ [فاطر: ٢٢].

وإذا كان النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لا يُسمِع الموتى إِلَّا ما استُثني بأمر الله، فكيف يُسمِع غيره الموتى؟! كيف يأتي العامي عند القبر ويقول: يا فلان! فيسمعه وَالنَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول له ربه: ﴿إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ الْمَوْتَىٰ﴾؟!

ويقول سُبْحَانَهُ: ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ يَدْعُو مِنْ دُونِ اللَّهِ مَنْ لَا يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَهُمْ عَنْ دُعَائِهِمْ غَافِلُونَ ﴿٥﴾ وَإِذَا حُشِرَ النَّاسُ كَانُوا لَهُمْ أَعْدَاءً وَكَانُوا بِعِبَادَتِهِمْ كَافِرِينَ ﴿٦﴾﴾ [الأحقاف: ٥، ٦]، وَقَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿إِنْ تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ﴾ [فاطر: ١٤]، فأنتم قد اتخذتم سببًا للنفع لا يدلُّ شيءٌ عَلَىٰ أنه سببٌ للنفع، وأشركتم بالله عَزَّوَجَلَّ.

- **والوجه الثَّالِث**: أنَّ مشركي العرب كانوا يقولون ما تقولون، وينطقون بما تنطقون، قالوا: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى﴾ [الزمر: ٣]، انظر إِلَىٰ الصيغة والمتكلمون عربٌ فصحاء: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ﴾ ﴿مَا﴾ نافية ﴿إِلَّا﴾ وَهٰذَا في غاية الحصر، فَهٰذَا يدل عَلَىٰ أنهم ما تقربوا إليهم، وما عبدوهم إِلَّا ليقربوهم إِلَىٰ الله زُلفى.

وَقَالَ سُبْحَانَهُ عنهم: ﴿وَيَقُولُونَ هَؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّهِ﴾ [يونس: ١٨]، فَالَّذِي تقولونه عينُ عينِ ما قاله أولئك الَّذِينَ كفَّرهم ربُّنا، وكفَّرهم رسولُنا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وقاتلهم، وَهٰذَا هو الجواب الَّذِي ذكره الشيخ، حيث قَالَ:

(المتن)

فَالْجَوَابُ: أَنَّ هَذَا قَوْلُ الْكُفَّارِ سَوَاءً بِسَوَاءٍ، فَاقْرَأْ عَلَيْهِ قولهم: ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلاَّ لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى﴾ [الزمر: ٣]، ﴿هَؤُلاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّهِ﴾ الآية [يونس: ١٨].

(الشَّرْحُ)

وَأَمَّا الوجه الرَّابع في ردِّ هٰذِه الشبهة وتقويضها وهدمها: أنْ نقول لهم: إنَّ الله ردَّ عليكم وعليهم أَجْمَعِيْنَ، بقوله سُبْحَانَهُ: ﴿قُلْ لِلَّهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعًا﴾ [الزمر: ٤٤]، وقوله سُبْحَانَهُ: ﴿وَلَا يَمْلِكُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ الشَّفَاعَةَ﴾ [الزخرف: ٨٦]، فَالَّذِي يملك الشَّفَاعَة هو الله، وَالَّذِي يعطيها هو الله، ولم يأتِ دليلٌ أنه أعطاها لميتٍ في قبره، وَإِنَّمَا يأذن الله فيها يوم القيامة لمن يشاء ويرضى.

وسيأتي الكلام عنها قريبًا إِنْ شَاءَ اللَّهُ عَزَّوَجَلَّ في درس الغد، أعني: الشَّفَاعَة الَّتِي أذن الله بها، فمن أين لكم هٰذِه الشَّفَاعَة؟ أنتم تشركون بالله كما قرَّرنا لكم وَبَيَّنَّا، ومقصودكم باطلٌ فاسدٌ ساقط، كما بَيَّنَّا لكم وقرَّرنا، فتبيَّن أنَّ الحال هو الحال في المقصود، كما تبيَّن سابقًا: أنَّ الحال هو الحال في المعبود.

(المتن)

وَاعْلَمْ أَنَّ هَذِهِ الشُّبَهَ الثَّلَاثَ هِيَ أَكْبَرُ مَا عِنْدَهُمْ. فَإِذَا عَرَفْتَ أَنَّ اللهَ وَضَّحَهَا فِي كِتَابِهِ، وَفَهِمْتَهَا فَهْمًا جَيِّدًا فَمَا بَعْدَهَا أَيْسَرُ مِنْهَا.

(الشَّرْحُ)

نعم، هٰذِه الشبه الثلاث هي أصول الشبه عندهم، وكل شبهةٍ عندهم تدور حول هٰذِه الشبه الثلاث، فإذا عرفت -أَيُّهَا الموفَّق- الجواب عن هٰذِه الشبه؛ اندفعت الشبه عنك، ودفعتها عن غيرك بِإِذْنِ اللهِ عَزَّوَجَلَّ.

وخلاصة الجواب عن هٰذِه الشبه الثلاث:

أنه تبيَّن بالأَدِلَّةِ صحَّة الجامع بين المشركين في زمن النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وهؤلاء المتأخرين المشركين، وانتفاء الفارقِ بينهما، وإذا صحَّ الجامعُ، وانتفى الفارقُ؛ اتحد الحكمُ، فصحَّ الجامعُ بين الحالين، وانتفى الفارقُ بين الحالين؛ فالنتيجة: يتحد حكم أصحاب الحالين، فهم سواء في حكمهم، مشركون بالله شركًا أكبر، خارجون عن دين مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، إن لم يفارقوا هٰذِه الحال، ويخرجوا منها إِلَىٰ حال النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأصحابه.

✍ إنَّا نقول للقوم: يا قوم! إنَّ عندنا حالَين:

☚ **اَلْأَوَّل والأشرفُ والأكرمُ**: حال النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وصحبه، ونحنُ نعلمهُ كما نعرفُ الشَّمْسَ والقمرَ، لا نشكُّ فيه شعرة، حالهم عَلَىٰ التَّوحِيْد، وَالتَّعَلُّق برب العالمين، والبعد عن الشِّرْك.

☚ **والحال الثانية** -نعوذ بالله منها-: حال المشركين في زمن النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، الَّذِينَ كفَّرهم ربُّنا، وكفَّرهم نبيُّنا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وقاتلهم نبيُّنا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وقد بَيَّنَّا لكم أنَّ الحال هو الحال.

☚ فيا قوم! اختاروا لأنفسكم، أتريدون أن تكونوا من حزب مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وصحبه؛ فَهٰذَا هو السبيل، وَهٰذَا هو الصراط، وَهٰذَا هو الحال، أم تريدون أن تكونوا من حزب أبي جهلٍ وأبي لهب؛ فذاك هو الحال، وذاك هو الطريق، والله قد هداكم النجدين، فاختاروا لأنفسكم، وليس التخيير هنا تخيير تكليف، وَإِنَّمَا تخيير إرادة، فإن أردتم النجاح والفلاح والفوز؛ فعليكم بحال النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وحال أصحابه، وإن أردتم الرَّدى والهلاك؛ فابقوا عَلَىٰ هٰذِه الحال الَّتِي أنتم عليها.

لعلنا نقف عند هٰذِه النقطة؛ لأنَّ عادتنا في يوم الجمعة أن نخفِّف لنترك لإخواننا الفرصة لكثرة الصَّلَاة عَلَىٰ النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وكثرة الْدُّعَاء فيما بقي من الوقت إِلَىٰ المغرب.

غدًا إِنْ شَاءَ اللَّهُ عَزَّوَجَلَّ لن يكون عندنا درس في الفجر، وَإِنَّمَا سيكون عندنا الدرس في العصر هنا في هٰذَا المكان إِنْ شَاءَ اللَّهُ عَزَّوَجَلَّ.

أسأل الله عَزَّوَجَلَّ أن يجعلني وَإِيَّاكُمْ ممن يحققون التَّوحِيْد، وممن يثبتون عَلَىٰ ذلك، وممن ينافحون عن التَّوحِيْد، ويوصون الأُمَّة بِالتَّوحِيْدِ، ويأمرون الأُمَّة بِالتَّوحِيْدِ، ويدفعون الشبه عن عموم المسلمين، ولعلنا نقتصر عَلَىٰ هٰذَا، وَاللهُ تَعَالَىٰ أَعْلَى وأَعْلَمُ.

وَصَلَّ اللهُ عَلَى نَبِيِّنَا وَسَلَّمَ.